النوستالجيا وتمثلاتها في النص المسرحي العراقي

Nostalgia and its representations in the Iraqi theater text

م.د. رغد حميد مجيد

Lecturer. Raghad Hamid Majeed Hassoun Al-Rafiei

أ.د. عامر صباح نوري المرزوك

Asst. Prof. Dr. Amer Sabah Noori al-Marzook

Ameersabah83@gmail.com

07802805412

ملخص البحث

عندما يشعر الشخص أن حياته على وشك الانتهاء وتغيرت إلى الأسوأ، فالعقل الذي يتسم بالدفء والعواطف، يستدعي ذكريات طيبة عن الماضي، لمنحه دفعة هو بأمس الحاجة للتعامل مع التحديات الآنية، والحنين له أساس نفسي، أُطلق عليه مصطلح (النوستولجيا)، اخترعه الطبيب السويسري يوهانس هوفر (١٨٦٧_١٩٢٨م) في أواخر القرن السابع عشر، بعد ملاحظة مجموعة من العمال السويسريين الذين يتقاضون أجورًا، والذين كانوا من المغتربين، يعانون من أعراض شائعة مثل عسر الهضم والأرق، وعدم انتظام ضربات القلب، واتضح فيما بعد، أن الأسباب الرئيسية كانت الحنين والشوق إلى الوطن.

أصبح الكشف عن النوستالجيا عملية استقلالية، وظاهرة في مجتمعنا العربي المعاصر، فالنوستالجيا بتعددها، لم تكن بعيدة عن المسرح، فقد أدرك الكتّاب المسرحيون أهمية هذه المسألة، مما جعلها تنعكسُ في شخصياتهم المسرحية، والشواهد كثيرة عبرّ مسرد تاريخ المسرح العالمي والعربي، بما يتعلق بالجوانب النفسية للشخصية وتاريخها وحاضرها وفاعليتها داخل بنية النص المسرحي، إذ تناول الكتّاب النوستالجيا بمختلف مستوياتها، بتوظيف صوّر الحنين المتعددة في موضوعات نصوصهم المسرحية.

الكلمات المفتاحية: النوستالجيا، التمثلات، النص المسرحي.

Research Summary

When a person feels that his life is about to end and has changed for the worse, the warm and emotional mind calls for good memories of the past, to give him the impetus he desperately needs to deal with immediate challenges, and nostalgia has a psychological basis, called the term (nostolology), invented by the Swiss doctor Johannes Hoover (1867_1928) in the late seventeenth century, after noticing a group of wage Swiss workers, who were expatriates, suffering from common symptoms such as indigestion, insomnia, and irregular heartbeat, and it turned out later, that the main reasons were nostalgia and longing for Motherland.

The disclosure of the nostalgia has become an independent process, and a phenomenon in our contemporary Arab society. Personality, history, present and effectiveness within the structure of the theatrical text, as the authors dealt with Nostalgia at various levels, employing multiple nostalgic images in the subjects of their theatrical texts.

Key words: Nostalgia, representations, Theater Text.

الفصل الأول

(الإطار المنهجي)

مشكلة البحث:

تُشكل النوستالجيا داخل الفكر الفلسفي والاجتماعي، حضورًا لا يمكن التغاضي عنه، بوصفها مرتبطةٌ بحياة الفرد وملازمة له، لذا لم يغفل التفكير الإنساني بكافة فروعه عن دراسة النوستالجيا وتأثيراتها النفسية والاجتماعية، كونها تشكل عاملًا في تخفيف الضغط النفسي، إذ لولاها لازدادت هموم الفرد وشعوره بالضيق، وكان من الممكن أن يكون ضحية للنكوص والتراجع في الحياة.

على عكس الخلافات حول أسباب الحنين إلى الماضي، كان هناك أتفاق ثابت حول ذكر الحنين، يعود إلى منتصف القرن العشرين، لتصنيف الحنين إلى مرض، منذ الوقت الذي أصبحت فيه التفسيرات النفسية، أكثر من كونها مرتبطة بالماضي بشكل خاص بالاكتئاب.

في حين أن الحنين إلى الماضي في معادلته مع الحنين إلى الوطن، كان يقتصر في السابق على الجنود، وطلاب السنة الأولى، ورجال البحرية والمهاجرين، فقد تغير معنى الحنين إلى شعور يشعر به كل شخص، والقيام بذلك – وربما هذا هو التغيير الأكثر إثارة للاهتمام – لم يعد الحنين إلى الماضي مرضًا، بدلًا من التسبب في الحنين، إذ يُعتبر حنين الماضي سببًا للسرور وشعورًا دافئًا، خاصة مع الانتقال بين مراحل الحياة أو الأدوار.

والشواهد كثيرة خلال مسرد تاريخ المسرح العالمي والعربي، بما يتعلق بالجوانب النفسية للشخصية وتاريخها وحاضرها وفاعليتها داخل بنية النص المسرحي، إذ تناول الكتّاب النوستالجيا بمختلف مستوياتها، بتوظيف صور الحنين المتعددة في موضوعات نصوصهم المسرحية، ووفقًا لذلك يضع الباحثان مشكلة بحثهما في التساؤل الآتي:

ما النوستالجيا وما تمثلاتها في النص المسرحي العراقي؟

أهمية البحث والحاجة اليه:

تكمن أهمية البحث الحالي بوصفه دراسة جديدة تناولت النوستالجيا وتمثلاتها في النص المسرحي، والكشف عن أشكالها وإتجاهاتها فلسفيًا ونفسيًا واجتماعيًا وثقافيًا، وهو إلى ذلك مفهوم يرتبط بالحالة النفسية والتوق إلى الماضي، والتي لم يتم تناولها في دراسات سابقة بشكل مفصل، لاسيما في النص المسرحي، لذلك وجد الباحثان ضرورة دراستها والتوقف عند آلية اشتغالها في النص المسرحي العراقي.

اما الحاجة إلى البحث:

١. تسليط الضوء على مفهوم النوستالجيا وتمثلاتها ودورها في المعالجة الدرامية للنص المسرحي.
٢. يفيد الباحثين والدارسين في مجال التأليف والنقد المسرحي وطلبة كليات ومعاهد الفنون الجميلة من حيث التعرف على مفهوم النوستالجيا.

هدف البحث:

يهدف البحث الحالي إلى تعرف النوستالجيا وتمثلاتها في النص المسرحي العراقي.

حدود البحث:

١. الحد الزماني: النصوص المسرحية العراقية المنشورة خلال المدة (٢٠١١_٢٠١٥م).
٢. الحد المكاني: جمهورية العراق.
٣. حد الموضوع: دراسة النوستالجيا وتمثلاتها في النص المسرحي العراقي.

تحديد المصطلحات:

أولًا/ النوستالجيا: Nostalgia

لغةً:

الحنين إلى الماضي واستدعاء الذكريات السالفة في الأدب العربي، هو ما يقابل النوستالجيا في الأدب الغربي، وللنوستالجيا جذور في اللغة اليونانية، مأخوذة من (nostas) بمعنى الرجوع و(algos) بمعنى الألم، والنوستالجيا في اللغة بمعنى الإحساس بالألم، والتحسر على ما مضى وما فات، وجاء معادل النوستالجيا في المعجمات كالآتي: النوستالجيا: الحنين والشوق المفرط للرجوع إلى الماضي، وحنين الغربة، والتحسر على الماضي والحنين للأهل والوطن وأيام الطفولة والصبا، وفي

أبسط تعريفاتها تدل على الرجوع إلى الماضي وحب شديد له واستدعاء شخصياته وأحداثه وأمكنته مع البسط والتفصيل في الذكريات التي تتعلق به[١].

اصطلاحًا:

عرف قاموس أكسفورد الحديث للغة الإنجليزية النوستالجيا بأنها: الشوق الوجداني أو عاطفة حزينة لفترة ماضية، وغالبًا ما يكون لفترة زمنية أو مكان ارتبط في ذاكرة الإنسان بعلاقات شخصية سعيدة، ويمكن اعتبار النوستالجيا تجربة عاطفية تغلب عليها طابع الإيجابية أو انفعال ذاتي[٢].

ويشير مصطلح (نوستالجيا) عادةً إلى الحياة الماضية والوقت الذي كانت فيه الحياة جيدة، وقد أشار الحنين إلى الحالة الطبية في الأصل، وقد صاغ الطبيب السويسري (يوهانس هوفر) المصطلح في أواخر القرن السابع عشر، في إشارة إلى الحنين للوطن الشديد الذي مر به المرتزقة السويسريون، شملت أعراض الحنين، أفكارًا متواصلةً حول المنزل والكآبة، والأرق، وفقدان الشهية، والضعف، والقلق، ونقص التنفس، وخفقان القلب[٣].

ثانيًا/ التمثلات: representation

لغةً:

جاءت في (المنجد) "ممَثلَ تمثيلًا الشيء لفلان: صوره لهُ بالكتابة ونحوها حتى كأنه ينظر إليه ... وتمثيل الشيء شبهه به وجعله مثله"[٤]. وفي (لسان العرب) "التمثل يعني مثل له الشيء، أي صوره حتى كأنه ينظر إليه، وأمتثله أي تصوره، ومثلت له تمثيلًا، وتمثيل الشيء بالشيء سواه، وشبهه به وحصل مثله وعلى مثاله"[٥].

اصطلاحًا:

جاءت في (المعجم الفلسفي) "هو الاستيعاب والمشاركة والموافقة والمشابهة. هو في التربية استيعاب المعلومات استيعابًا ينظمها في الحياة العقلية"[٦]. وفلسفيًّا "أن الذهن لا يعرف الأمور المحسوسة مباشرة، وإنما يعرفها عن طريق الأفكار التي تمثلها فهي تقوم مقامها وتجعلها ماثلة أمام الذهن"[٧]، وفكريًّا "تناسب، علاقة الملازمة بين أمرين أو أكثر، وتكون فيها صفات متشابهة"[٨].

التعريف الإجرائي لـ(تمثلات النوستالجيا):

تمثّل الحنين إلى الماضي بهيئة سلوكيات واعية أو غير واعية، تؤثر على الفرد، وتظهر نتيجة عوامل نفسية اجتماعية مثل: الحزن، والاغتراب، والغربة، والعوز، أو تداعي ذكريات معينة في مرحلة من مراحل حياة الفرد، إذ يتم استرجاع هذه الذكريات التي يقوم العقل البشري بصهرها في بوتقة النوستالجيا، مجسدًا إياها الكاتب المسرحي في متون نصوصه المسرحية.

الفصل الثاني
(الإطار النظري)

المبحث الاول: النوستالجيا مفاهيميًّا

تُعد النوستالجيا واحدةً من السلوكيات التي تطرأ على سلوك الأفراد، وتظهر هذه الظاهرة تحت تأثير العوامل الفردية والاجتماعية، كفقد الأسرة، والحبس، والنفي، والتحسر على الماضي، والهجرة، وحضور الذكريات المتعلقة بالطفولة والشباب على البال، فيلجأ الفرد إلى ماضيه المشحون بالفرحة، هربًا من حاضره الأليم، ويمكن الإشارة لهذه العوامل تحت بوتقة تسمى بالحنين التي يمكن استعراضها وفق لما يأتي:

أولًا/ الحنين إلى الماضي:

تعني العودة إلى الماضي، وإعادة الذكريات المليئة بالسعادة، حيث قام الطبيب السويسري (يوهانس هوفر) بدراسة الأعراض السلوكية للمرتزقة السويسريين ووجودهم بعيدًا عن وطنهم، وأن المرضى الذين يعانون منه، يسكنون ويعانون من قلق نفسي شديد، والذكريات التي تجمعهم وتذكرهم بموطنهم واحبابهم، وأن أولئك الذين يعانون من المرض والاضطراب النفسي، يتخيلون أشياء تحدث في المنزل، ولا يتركون أي مساحة نفسية وراحة للعقل والذهن للأفكار حول العالم، وتتدرج الأعراض بدءًا من اليأس إلى نوبات من البكاء، وفقدان الشهية، والانتحار، وقد وصفه حينها بأنه مرض عقلي[٩].

وأن مفهوم الحنين إلى الماضي هو اشتياق إلى مكان ما في وقت مضى، وهو يتوق لوقت مختلف (وقت طفولتنا)، وإيقاعات أحلامنا الطفولية، ويمكن اعتبار النوستالجيا تجربة إيجابية، وعلى وجه التحديد، يمكن عدها عاطفة تغلب عليها طابع الإيجابية أو انفعال ذاتي، ولقد جاء في كتاب المؤلف (جانيل ويلسون) عدة مفاهيم حول مصطلح (النوستالجيا) ومن بينها يذكر الباحثان الآتي[١٠]:

- الحنين إلى الماضي هو تعبير شخصي عن النفس، يوفر للشخص إحساسًا بالاستمرارية.
- الحنين إلى الماضي هو شكل من أشكال التواصل بين الأشخاص، وهو يخدم غرض الترابط.
- الحنين إلى الماضي هو شكل من أشكال التفكير في الماضي أو تخيله.
- يمكن استخدام الحنين إلى الماضي كسلعة ثقافية مشتقة من تجربة فئة عمرية معينة، وتحويلها إلى شريحة من السوق.

ثانيًّا/الحنين إلى الوطن:

يُعرَّف الحنين إلى الوطن على أنه الضيق والضعف الوظيفي الناجم عن الانفصال الفعلي أو المتوقع عن المنزل وأشياء المرفق، مثل الآباء والأمهات، والسمة المميزة للحنين إلى الوطن، هي الأفكار المتكررة التي تركز على المنزل، كالأحباء، والوطن، والطهي المنزلي، والعودة إلى المنزل، والضغط المستمر، هو دائمًا فصل متوقع أو فعلي عن المنزل، لذلك من الممكن التمييز بين الحنين إلى الوطن عن جميع الأنواع الأخرى، من اضطرابات القلق، أو اضطرابات المزاج، أو اضطرابات التكيف، وكذلك من ضائقة الانفصال التي قد يشعر بها الشباب، عندما يغادر مقدمو الرعاية المنزل، للعمل، أو الخدمة العسكرية، أو الطلاق، أو السجن[١١].

قد يشكّل الحنين إلى الوطن في مراحل متطورة العديد من المخاطر التي تهدد حياة الأفراد، إذ تشمل عوامل الخطر لتطور الحنين إلى الوطن الشديد لدى الشباب، القليل من الخبرة السابقة بعيدًا عن المنزل، والتجارب السلبية السابقة بعيدًا عن المنزل، والانطباعات السلبية الأولى، وتوقعات منخفضة للبيئة الجديدة، والشعور بالإرغام على مغادرة المنزل، والتعلق غير الآمن بمقدمي الرعاية الأولية، والتاريخ السابق للاكتئاب أو القلق، والرسائل المتضاربة من مقدمي الرعاية الأساسيين، مثل استمتع بقضاء وقت ممتع بعيدًا، لا أعرف ماذا سأفعل بدونك[١٢].

على الرغم من أن أفضل طريقة للحد من الحنين إلى الوطن بشكل مكثف، هي من خلال برنامج وقائي مدعوم تجريبيًّا، يمكن تدريب مقدمي الرعاية البديلة، كمستشاري المعسكرات، والمدرسين، والموظفين الصحيين، عبر المواد المطبوعة والتعليم عبر الإنترنت، على التعرف بأعراض الضائقة التي تعالجها مرافقة الحنين إلى الوطن.

تصنيفات النوستالجيا:

يمكن تصنيف النوستالجيا إلى الآتي[١٣]:

- **النوستالجيا الشخصية:** تشير النوستالجيا إلى الخبرة والتجربة الشخصية المباشرة، تختص بالخبرة المباشرة والذكريات الشخصية، أو موقف مميز من المواقف سواء كان هذا الموقف جميلًا أو سيئًا، مر على الإنسان في الماضي، والنوستالجيا الشخصية هي ما يسمى (الحنين الحقيقي)، وكان من أكثر المواضيع تحلي نفسية واجتماعية[١٤]، فالمتلقي أو القارئ يكون لديه استجابة وفهم أسرع للنوستالجيا، عندما تكون ذات صلة بذكرياته في الماضي، أي أنه عاش تلك الذكريات أو مرت به، وتركت أثرًا في نفسه، وذلك يعكس خبراته من تجاربه الشخصية، وليس مما قد قرأه في كتب أو قصص[١٥]، وتهدف النوستالجيا الشخصية إلى إحياء الذكريات والرجوع اليها للقارئين، من خلال إعادتهم إلى الماضي والأيام التي كانوا فيها أصغر سنًا.
- **النوستالجيا التاريخية:** تضم الأحداث والمواقف التي لم يعشها الفرد ولكنه سمع عنها وتأثر بها، وتوصف النوستالجيا التاريخية، بأنها الرغبة في الانسحاب من الحياة والذهاب إلى الماضي البعيد، والذي ينظر إليها على أنها أفضل من الحاضر[١٦]، والهدف من استخدام النوستالجيا التاريخية، هو جعل القارئ يعتز بمحاسن وأمجاد الماضي، على أمل أن بعض منها يقوم بتغيير الواقع[١٧].
- **النوستالجيا الثقافية:** تشير على خبرة مباشرة يشترك فيها مجموعة من الأفراد، على سبيل المثال، وجود الذكريات المتشابهة بين العائلات عن الاحتفالات والأعياد[١٨].
- **النوستالجيا الافتراضية:** تستند على الخيال والخبرة غير المباشرة، بدلًا من تجربة شخصية، وقد تنشأ من الكتب والقصص والأساطير الخيالية التي لم تحدث في الواقع، ولكن القارئ على معرفة بها، وأن سبب الاختلاف بين فئات النوستالجيا، يرجع إلى حد كبير للاستجابات المختلفة، ومن المتأكد أن تكون النوستالجيا الثقافية والافتراضية والتاريخية بسبب التركيز الجماعي، ومن المحتمل أن تكون أكثر تناغمًا وتماسكًا بين الأفراد من النوستالجيا الشخصية[١٩].

بناء على ما تقدم، يرى الباحثان أن فهم النوستالجيا، وأسباب ظهورها، لا ينفك عن فهم المكان وطبيعته، وعن الحاضر وإشكالياته، وعن علاقة الذات وإدراكها للعالم الخارجي، وقدرتها على تسكين نفسها في هذا العالم، فحينما تتعقد علاقة الذات، سواء الفردية أو الذات الجماعية، مع المكان باعتباره الموطن والسكن، وتشعر بثقل الواقع عليها وصعوبة الشعور بالاستيعاب في الحاضر، تجعل الماضي هو المهرب الأول، ولكننا نحتاج إلى علاقة عقلانية مع الماضي، لا تستدعيه بشكل انتقائي وبسردية متوهمة.

المبحث الثاني: تمثلات النوستالجيا في النص المسرحي

رافقت النوستالجيا النص المسرحي منذ نشأته في المسرح الإغريقي، من خلال الأحداث التي اوقعت بالشخصيات المسرحية، ودفعتهم لإرتكاب الخطيئة، وكانت سببًا لإثارة وإحياء النوستالجيا داخل تلك الشخصيات، لتجعلها تحن وترغب في العودة إلى الماضي، أي العودة الى ما قبل الخطأ، لكي تتخطى وتتجاوز فعل الخطيئة، والانتقال من حالة البؤس إلى حالة أفضل، كان الهروب والتخلص من اللحظات المصيرية في الحياة، كبديل عن النوستالجيا، وعلى أساس ذلك، فقد تكون الشخصية أعلنت استسلامها في النهاية، مع اختلاف المعالجات الدرامية من عصر لأخر، ومن كاتب لأخر، وتجسدت النوستالجيا في النص المسرحي في العديد من المستويات، كحب الوطن، وحنين الزوجة، والحنين للماضي، وأحلام اليقظة، وإلى ذلك من النماذج التي سيدرجها الباحثان عبر حقب زمنية مختلفة.

تتجلى النوستالجيا في مسرحية (أنتيجونا ٤٤٣ق.م) للكاتب الإغريقي (سوفوكيس ٤٠٥_٤٩٦ق.م) عندما تقع (أنتيجونا) بطلة المسرحية ضحية صراع، بين ما يمليه الحاكم (كريون)، وبين ما يمليه عليها الواجب الالهي والعقيدة التي كان يؤمن بها الإغريق، بوجوب دفن الموتى، حتى وأن كانوا من الأعداء، وترجع خطورة هذا القرار إلى أنه يفتقر الاعتدال، بمعنى أنه صورة من صور التطرف النبيل الذي يرمي إلى تحقيق الذات، بطريقة لا سبيل إلى إيجادها، في إطار الحياة، ولكن لأنه صادر من منطلق آثم، وعصيان للأمر الإلهي الذي يقضي بدفن الميت وتكريمه(٢٠).

وكان من الطبيعي أن تفزع (أنتيجونا) لدى علمها بهذا القرار الجائر في نظرها، فتصمم على معارضتها، حتى لو كان الموت هو الثمن، كانت شخصيتها على النقيض تمامًا من أختها (إسميني) التي ما إن عرفت حتى استبد بها الخوف، ولم تتغاض فقط عن قرار (كريون)، بل أذعنت له وشرعت تحذر أختها من معارضته حتى لا تتعرض للهلاك، فلا يكون هناك مهرب وسبيل سوى الموت، فرأت أن من واجبها تجاه ما تؤمن به تجاه عقيدتها، وتجاه رابطة الدم، هو إقامة طقوس لدفن اخيها المقتول، كما في الحوار الآتي:

"انتيجونا: ... أما انا فإني سأدفن فولونيقس، وسأكون فخورةً بأن أموت وأنا أفعل ذلك. فعلى هذا النحو سأرقد إلى جواره، حبيبةً إلى من هو حبيبٌ لي، مجرمة بجرمٍ مقدس. أوَ ليس من الواجب عليَّ أن أُرضي من هم في العالم السفلي أولى من أن أُرضي من هم في عالمنا هذا هنا، ما دمت سأرقد هناك في أسفل إلى الأبد؟ افعلي أنتِ ما يحلو لك، واستمري في ازدراء كل ما مرضيَّ الآلهة"(٢١).

بعدها يحدث الصدام الذي لا رجعة فيه، فيغضب (كريون) المستبد برأيه، وينفذ حكم الاعدام بـ(أنتيجونا) التي هي أبنة أخته وخطيبة أبنه في نفس الوقت، الأمر الذي يدفع بـ(هايمون) إلى الانتحار حزنًا عليها، بعد خابت مساعيه في كسب الصفح

عنها، وتلحق به والدته زوجة (كريون)، حزنًا على فاجعتها بابنها، ويبقى (كريون) يعاني من ألم فراق احبته، متشوقًا لعودة الماضي لحظة واحدة، حتى لا يقترف مثل هذا الفعل الشنيع.

وعند قراءة مسرحيات الكاتب الروسي (انطوان تشيخوف ١٨٦٠_١٩٠٤م) يمكن تتبع الشعور النوستالجي في مسرحياته، وخلال البحث في شخصياته المسرحية داخل بنية النص، تكشف أنها تعاني من الحاضر، وتعيش الظلم والحرمان والقسوة والبعد، وتبحث عن شيء يجعلها تتخلص من كل هذا، ففي مسرحية (الخال فانيا ١٨٩٨م) والتي تعد من المسرحيات الناضجة التي كتبها (تشيخوف) في خلق صراع داخلي لشخصياته، فجسد الحنين إلى المكان والذهاب أليه، من خلال زيارة المزرعة والاستمتاع بالأجواء الخلابة، كما يتضح في الحوار الآتي:

"سيربر ياكوف: رائع! رائع! ... يا لها من مناظر بديعة!

تلجين: انها رائعة حقًا، يا سيدتي.

سونيا: سنذهب إلى المزرعة غدًا يا أبي. أتحب أن ترافقنا"(٢٢).

يرى الباحثان أن النوستالجيا قد تفرضها الأحداث على الشخصيات المسرحية التي يقررها المؤلف، وبناء على تلك الأحداث التي قد يكون حضورها قصديًّا، وربما تظهر دون قصدية من المؤلف والشخصية معًا، إلا أن رفض ما سيقع أو ما ستصل اليه الأحداث، هو ما يجعل الشخصية، لا تريد أن تقع في النوستالجيا.

وقد جسد الكاتب المسرحي الجزائري (كاتب ياسين ١٩٢٩_١٩٨٩م) المشاعر النوستالجية في مسرحياته، فيتميز أسلوب مسرحياته بالواقعية الشعرية، ويرى الناقد الفرنسي (إدوار غليسان) أن مسرحيات (ياسين) "تكلمت عن العالم، عن عالمنا، كما تراه، مؤلفات النشيد العميق.. كجهد، كوحدة مجزأة ينبغي إعادتها... أليست هي مأساتنا جميعًا التي ترتسم من وراء القتال والصدمات والحروب بين الشعوب"(٢٣).

ففي مسرحيته الثورية (الجثة المطوقة ١٩٥٤م) يحكي قصة نضال الأحرار في الجزائر ضد الاستعمار الفرنسي، فبرع الكاتب بأسلوب مميز، ولغة عالية مرمزة، بتوظيف رموز النوستالجيا في نصه، فقد شبه الحرية بنجمة معلقة بالأفق، والكل يتطلع اليها، ويطمح في الوصول اليها، ومثلما هي بعيدة وتستحق العناء لبلوغها، ينبغي أيضًا المحافظة عليها وحمايتها، وهذا الشعور بالحنين للاستقلال والتحرر من المستعمر يكشفه الحوار الآتي:

"مصطفى: (ينهض فجأة من غفوته ..) نجمة! لا يجب أن ندعها تذهب. نادها. لا تنس أن الاخضر تركها منا .. ومعنى ذلك أنها ستكون في حمايتنا.. ولو لم يخطر بباله مثل هذا قط. أنظر اليها .. وهي تتخطى الأموات. لم تستطع الدهشة ولا الرعب، أن يُثقلا مشيها. ها هي ذي تتوقف أمام بوابة الموت. إن خمارها يتطاير في الليل، وترتفع أطرافه، حتى ليظنه مركبًا جانحًا في عرض البحر، ليكشف لنا الافق البعيد..."(٢٤).

فالحرية هي القيمة الأساسية التي نادى بها (ياسين)، وجعلها سمة أساسية في مسرحه، فقد بحث عن الإلتزام والثورة داخل الوطن، والعودة للكتابة الشعبية ومغادرة اللغة الفرنسية في أواخر حياته، فهي لغة الوطن الذي أحب، والحنين إلى الماضي الجميل الذي عاشه.

وأستمد الكاتب المسرحي العراقي (شاكر خصباك ١٩٣٠_٢٠١٨م) أحداث مسرحية (الشيء ١٩٦٦م) من داخل زنزانات المعتقل، وتحكي قصص المعتقلين من الثوار الذين نددوا بالحكم الدكتاتوري الجائر، وعلى الرغم من قلة التصريحات

النوستالجية في حوارات الشخصيات، إلا أنه يمكن القول بأن هذا النص قد بُنيَّ بأكمله على مشاعر نوستالجية متعددة ومختلفة، تباينت وتعددت تبعًا لاختلاف شخصيات المعتقلين، واختلاف الطبقة الاجتماعية التي تنتمي إليها تلك الشخصيات، وبما أن الأحداث تدور داخل زنزانة المعتقل الخاص بالسياسيين، فلابد لهذه الشخصيات التي تعاني نوستالجيا العودة ان تجعلهم يتمسكون بحلمٍ غير الواقع الذي يعيشون، فضلًا عن حنينهم للسلام الذي فقدوه، والحنين إلى السعادة داخل جو الأسرة، أو حنينهم ليوم التحرر والأفراج عنهم، فهم في حياتهم داخل المعتقل يعانون أنواعًا من الحرمان الذي يقابله أنواع الحنين، لعل أبرزها ما يكشف عنه الحوار الآتي:

"أكرم: حرمونا نساءنا عليهم اللعنة!

فلاح: ألا تكفّ عن التفكير في امرأتك يا اكرم؟! ألا يشغل ذهنك أمر آخر غير النساء؟!

أكرم: وكيف تريدني أن أنسى زوجتي بهذه البساطة؟ ..."(٢٥).

وهنا يأتي دور القارئ المثالي الذي افترضه الفيلسوف الإيطالي (امبرتو ايكو ١٩٣٢_٢٠١٦م)، وحتم عليه، أن يكون قد مرَّ بالظروف نفسها التي مرَّ بها الكاتب، وهذا القارئ الذي يدرك ويصور حالات تلك الشخصيات، وما تعانيه من تعذيب، واضطهاد، وحرمان، خلف جدران السجون المظلمة.

وأراد الكاتب المسرحي المصري لينين الرملي (١٩٤٥_٢٠٢٠م) في مسرحية (وداعًا يا بكوات) ١٩٩٦م، عبور حدود الزمن، والعودة ببطلي المسرحية إلى قرنين للوراء، علّهم يستطيعون أن يؤثروا في المجتمع، ويمنعوا ما وصل اليه في الوقت الحاضر، ولكن دون جدوى، ثم يقفز بهم إلى ثلاثة قرون في المستقبل، ليروا ما سيحدث من بعد هذا الوقع وينقذان ما يستطيعان إنقاذه، ولكن دون جدوى أيضًا، ويتجلى ذلك في الحوار الآتي:

"برهان: حياة سهلة ومريحة وكل شيء تتحكم بيه بالريموت كونترول والمكن يقوم بدالك بكل العمل.

نادر: لكن الناس مِش باين عليهم أي سعادة.

برهان: مش باين عليهم السعادة الي تعرفها أنت، السعادة بمقاييس زمنك أنت.

نادر: الإنسان بقى عاله وعاطل، ومبقاش لوجوده أي معنى أو قيمة أو هدف"(٢٦).

وعلى ما يبدو من الحوارات السابقة، أن المؤلف كان يعاني شعورًا نوستالجيًّا يتماشى مع تطور الآلة، ودخول الروبوت في كل مرافق الحياة، ففي زمن المسرحية الافتراضي (بعد ثلاثة قرون من الآن)، عندها سيجرد الإنسان من مسؤولياته، وتختلف قيمه ومعاييره في السعادة والحزن، والرفض والرضا.

ففي أغلب النصوص التي كتبت في المسرح العربي، تضمنت بين دفتيها شعورًا نوستالجيًّا متمثلًا في الأغلب بالحنين إلى الوطن، وقد يعود ذلك إلى الاضطراب السياسي والاقتصادي، وسوء الأوضاع العامة في واقع المجتمعات العربية، فدعت تلك الظروف الى تعرض فئة من المجتمع إلى الابتعاد عن أوطانهم، نتيجة الهجرة أو التهجير، أو النفي، أو غير ذلك، الأمر الذي دعا كتّاب المسرح العربي لتدوين تلك المعاناة، عبر إشارات تسللت داخل متون نصوصهم المسرحية، سواء أكانت عن قصد أو عن غير قصد.

المؤشرات التي أسفر عنها الإطار النظري

١. ارتبطت النوستالجيا بالمكان وأحلام اليقظة، التي تمثل العودة لبيت الطفولة، نوستالجيا البيستا الحالمة.
٢. تمثلت النوستالجيا بالهوية والمواطنة والانتماء، فهي ليست دومًا حالة فقدان لِما غاب، أو لِمن رَحَل، ولا حالة صعبة وتأزم، أو مشاكل مع الحاضر، بل هي حل مشكلة الهوية والعودة إلى الوطن والمنزل وإعادة الراحلين.
٣. تميزت النوستالجيا بثنائية من نوع خاص، وهي الحضور الظاهري والحضور المستتر.
٤. أصبحت النوستالجيا أكثر حضورًا وفعالية، بسبب هيمنة التكنولوجيا وعوامل الاغتراب النفسي والروحي والاجتماعي.
٥. عانت الشخصيات المسرحية أثناء شعورها النوستالجي، رغبتين في آن واحد، رغبة في العودة إلى الماضي، لما فيه من ذكريات، ورغبة في البقاء بالحاضر، حيث التطور والمدنية.
٦. وظف الكتّاب المسرحيون النوستالجيا، عبر مسرد تاريخ المسرح العالمي، وفقًا لتطور المسرح عبر العصور.
٧. تتضح النوستالجيا في النص المسرحي، بعد تأزم الأحداث، وتنامي الصراع، وما يحيط بالشخصيات من ظروف مختلفة، وصراعات الشخصية مع ذاتها، أو بين شخصية خيرة، وأخرى شريرة.
٨. جسد الكاتب المسرحي عبر نصوص المسرحية نوستولجيا حياته، من خلال شخصياته التي رسمها، وهي جزء من الارتسام الذاتي.

الفصل الثالث

(الإطار الإجرائي)

مجتمع البحث:

يتكون مجتمع البحث الحالي من عشرين نصًا مسرحيًّا عراقيًّا منشورًا، للمدة ما بين (٢٠١١_٢٠١٥م)، كما هو مبين في جدول رقم (١).

ت	اسم المسرحية	اسم المؤلف	سنة النشر
١	الأيدي الملطخة	قاسم مطرود	٢٠١١
٢	عايش	تحسين كه رمياني	٢٠١١
٣	مأساة محرك الدمى	محمود ابو العباس	٢٠١١
٤	مطر صيف	علي عبد النبي الزيدي	٢٠١١
٥	الراقصة والفيلسوف	حاتم عباس بصيلة	٢٠١٢
٦	الآتي من وراء المرايا	حيدر عبد الله الشطري	٢٠١٢
٧	حارس ثلاجة الموتى	محمد البغدادي	٢٠١٢
٨	عالم سفلي	صلاح حسن	٢٠١٢
٩	مطلقات يبحثن عن	مصطفى ستار الركابي	٢٠١٣
١٠	صدى	مجيد حميد الجبوري	٢٠١٣
١١	عزف نسائي	مثال غازي	٢٠١٣
١٢	عزف على حراك الجمر	قاسم مطرود	٢٠١٣

١٣	هلع	حسن الغبيني	٢٠١٤
١٤	شاورمة	عباس نعمة جابر	٢٠١٤
١٥	انا الملك	طالب كاظم	٢٠١٤
١٦	ابن الخايبة	علي عبد النبي الزيدي	٢٠١٤
١٧	يوسف ملك اسبانيا	علي عدنان آل طعمة	٢٠١٥
١٨	الجرافات لا تعرف الحزن	قاسم مطرود	٢٠١٥
١٩	ستارة زرقاء شفافة	أطياف رشيد	٢٠١٥
٢٠	الجنة تفتح أبوابها متأخرة	فلاح شاكر	٢٠١٥

جدول رقم (١)

عينة البحث: اختار الباحثان نصين مسرحيين عراقيين بوصفهما عينة البحث وبالطريقة القصدية، كما هو مبين في جدول رقم (٢):

ت	اسم المسرحية	اسم المؤلف	سنة النشر
١	مطر صيف	علي عبد النبي الزيدي	٢٠١١
٢	الجنة تفتح أبوابها متأخرة	فلاح شاكر	٢٠١٥

جدول رقم (٢)

منهج البحث: اعتمد الباحثان المنهج الوصفي (التحليلي) في تحليل العينة المختارة، وذلك لتماشيه وهدف البحث.

أداة البحث: اعتمد الباحثان على المؤشرات التي أسفر عنها الإطار النظري للبحث بوصفها معايير تحليلية، فضلاً عن ذلك ما حدده الباحثان من رؤى ومرجعيات، تلمساها من خلال القراءة الاستطلاعية لعينة البحث.

تحليل عينة البحث:

نموذج رقم (١) مسرحية (مطر صيف)

تأليف: علي عبد النبي الزيدي[٢٧]، سنة النشر: ٢٠١١م

المتن الحكائي:

عالجت مسرحية (مطر صيف) موضوع له مساس بحياة المجتمع العراقي ما بعد عام ٢٠٠٣م، ووجود الاحتلال الأمريكي، وتسلم مقاليد الحكم لسياسيين وأحزاب جاءوا عبر الحدود بعد غياب طويل، وقد تجسدت هذه الفكرة في شخصية (فلانة) المرأة التي تنتظر زوجها وحبيبها طيلة ثلاثين عامًا، وهو (فلان١) و(فلان٢)، ففي المشهد الأول يدخل عليها زوجها وحبيبها وهو (فلان١)، أي رجل يشير إلى هناك أكثر من فلان، طالما مهد المؤلف إلى اعطائهِ الرقم (١)، وبالفعل المشهد الثاني يدخل عليها (فلان٢) و(فلان٣) في نهاية أحداث المسرحية، وهو يحاول إيصال فكرة، أن الحقيقة غائبة، والأحداث رمزية، أشار بها إلى الوطن الذي عاد أليه الازواج المستنسخون، والاستنساخ لا يمثل الحقيقة، فجميعهم طامع بجسدها، وطامعون في المرور من خلالها إلى قاربه، إلا أنها في النهاية تتركهم في البيت وتخرج، وهم في صراع وصراخ، يتصارعون عليها، لانهم يريدون تحقيق رغباتهم وأهدافهم، دون الاهتمام بها، ومراعاة سنين الإنتظار لتخليصها مما تعاني منه.

تحليل النص المسرحي:

بنى المؤلف المشهد المسرحي على أساس التحضير النوستالجي قبل البدء بالحوار، ومن معلومات شخصية (فلانة)، التي تبدو بسن الخامسة والأربعين، ولا شيء في البيت يثير الاهتمام سوى صورة معلقة لرجل أسمه (فلان)، وضعت في منتصف الحائط، يبدو وسيمًا إلى حدٍ ما، فالمؤلف أختزل الكثير من المقدمات في هذا المشهد الإيقوني، الذي يدل على حرفيته ودرايته بمقصدية كل هذه التفاصيل، وأن الصورة المعلقة كشفت عن غياب شخص لفترة من الزمن، فالصورة لشخص يبدو وسيمًا، والمرأة في الخامسة والأربعين، وساعة الزمن وليل هذا الفراق والانتظار، فيمكن القول بأن الانتظار كان طويلًا، إذا ما قارنا ذلك بشكل المرأة في زمن التقاط صورة الرجل، وهذا كله يعطي مبررًا للاضطراب واللهفة، التي جسدتها شخصية (فلانة) عند ظهورها على خشبة المسرح، فتارة تمشط شعرها، وتارة تنظر لتفاصيل وجهها، تأكيدًا على ما قدمهُ المشهد من معطيات، لفهم وأدرك الحدث، مستعينًا بالصورة الذهنية المتكونة لديه من تلك المعطيات، وهذا كله يختصر العديد من الحوارات في حنين (فلانة) لزوجها الغائب لسنين عديدة، بعيدًا عن زوجته وبيته ووطنه، وما يصحب ذلك من شعور نوستالجي يتطلب شرحه حوارات عدة، إلا أن المؤلف أختصر كل هذه الحوارات بعلامات أكدها المشهد المسرحي، فكأنه يطلب من القارئ أن يكون مشاركًا في بناء الحدث المسرحي، بأن يكمل من عنده، وبما يملك من ثقافة وخبرة في تصور معاناة تلك المرأة، وتنتظر زوجها الغائب، وكذلك يتصور اللهفة واختلاط المشاعر، وهي تنتظر هذه اللحظة، فالمؤلف يترك للقارئ حرية اختيار الصور التي يضعها للمشهد ما قبل الحدث المسرحي، والذي لا شك بأنه سيتضمن مختلف المشاعر النوستالجية على اختلاف مستويات القراء.

كذلك يلاحظ الأثر الجمالي وحرفية المؤلف، منذ الوهلة الأولى، إذ أنه يحاول مخاطبة الشعور الجمعي، وإثارة المشاعر عبر قاسم مشترك، له أثره المباشر على القارئ، عندما يستحضر كلمات أغنية حسين نعمة (ولك يا قلب)، إذ يستدعي نوستالجيا جمعية، هي نوستالجيا الشوق واللقاء، والتي تقاسمها الشعور الجمعي بأشكال مختلفة، كالشوق للقاء: (المهاجر، والمهجر، والأسير، والهارب، والمبعد)، وكل أنواع الاغتراب التي شملت أغلب شرائح المجتمع، في زمن كتابة المسرحية، فكأنه بهذا المقطع من الأغنية، تحدث عن كل معاناة الفراق، وأختصر تصوير لحظات اللقاء بكل ما فيها من ارتباك ودموع وفرحة ممزوجة باللهفة والخوف والحنين، ليس لدى الشخصية (فلانة) فحسب، بل في نفوس أغلب المتلقين، كنوع من الجذب وشد الانتباه والاندماج، بهذا الشعور النوستالجي، وهذه الحيرة، واختلاط المشاعر تظهر جلية بالحوار الآتي:

"فلانة: ... لا أعرف كيف استقبله، وماذا ارتدي من أجله؟ ماذا يمكن لامرأة لم تر زوجها منذ عشرين عامًا أن تفعل لحظة دخوله عليها كأنه الجنة؟ .. وأنا لا أملك أي شيء استقبله به .. سوى باقات من شعري الأبيض ودموع الفرح المحبوسة في حزني، وبقايا من كلمات ساخنة..." (٢٨).

عندما يستحضر الماضي بكم من الذكريات، والمواقف المختلفة، مع مزيد من الحب المتنامي طوال ثلاثين عامًا، لا بد أن تختلط المشاعر، فتقول (فلانة):

"فلانة: ... ماذا أفعل؟ أشعر بخجل وخوف ورعشه تدب في جسدي..."(٢٩).

منذ بداية المسرحية تفيض مشاعر (فلانة) بالعاطفة والحنين إلى الزوج المغترب، لأكثر من عشرين عامًا، فهي متلهفة لإطلاق عواطفها دفعة واحدة، بعد أن تعبت من البحث عنه سنين طويلة، وما أن علمت بانه قادم، حتى اختلطت مشاعرها، وتزاحمت رغباتها:

"فلانة: ... كم احتاج أن أبكي على صدره، أبكي، أبكي بحرقة .. بكائي كفيل أن يعوضني عن كل الكلمات (بحزم) هيا أطرق الباب، أطرقه، أرجوك، أطرقه من أجل حبيبتك فلانة.."(٣٠).

وتنتقل النوستالجيا إلى (فلان١) بعد أن كانت في منطقة (فلانة)، وسؤاله وأما زال حبك لي كما تركته، هو سؤال عن تواصليه الماضي بالحاضر، فقد تركها وهي تحبه، فهل بقي هذا الحب بالحيوية السابقة نفسها؟ أي انه يريد الحب الذي غادره وتركه، فهو عائد بحنينه لهذا الحب القديم، الذي كان يشعره بالسعادة، وذلك له اسبابه ومنها التقدم في السن وفقدان الشباب وحيويته على مدى ثلاثين عامًا، لبيته وزوجته وحبها الذي لم ينساه، بل كان رفيق غربته.

وتؤكد (فلانه) على أن الماضي إذا ذهب لا يعود مطلقًا، وأن عودته هذه هي عودة لأشلاء الماضي والذكريات الدفينة:

"فلان١: وأين ذهب صديقي الحقيقي؟

فلانة: الأشياء الحقيقية في حياتنا عندما تغادر لا تعود إطلاقا، ولكن يمكن لأشلائها أن تعود كأشلاء صديقك!.

فلان١: اشلاء؟! بمعنى ...

فلانة: أكنت ميتًا؟

فلان١: أيقف الموتى على اقدامهم هكذا؟

فلانة: لو أعادوك شابًا لما كنت تشعر بالتعب"(٣١).

إنه تأكيد واضح من قبل المؤلف على لسان شخصية (فلانة)، بان اشلاء من الماضي فقط، يمكن إستعادتها، لكثرة الحاجة اليه نفسيًا، وأن الماضي لا يعود مطلقًا، وهي تؤكد مرة أخرى بقولها "لو اعادوك شبابًا"، ومفردة "لو" أداة للتمني والتعبير عن الرغبة في حصول ما لم يحصل، وهنا لا يمكن أن تتم عملية الاعادة كونها مستحيلة، الأمر الذي جعل النوستالوجيا تتناوب بين الزوج وزوجته، هو يحلم بالعودة إلى الماضي، وهي كذلك تحلم بالعودة إلى الماضي، وكلاهما يدركان أن ذلك لن يكون أبدًا، مما يعني تدخلٌ اجتماعيٌ، هو فقدان القيمة للشخص وعدم فاعليته، ونفسيًا هو ما أدى إلى تغير ملامح الوجه، وتعب الجسد، وانقطاع التواصل مع زوجته، طيلة ثلاثين عامًا من الغربة والاغتراب.

نموذج رقم (٢): مسرحية (الجنة تفتح أبوابها متأخرة)

تأليف: فلاح شاكر[٣٢]، سنة النشر: ٢٠١٥م

المتن الحكائي:

يفتتح المؤلف نصه المسرحي (الجنة تفتح أبوابها متأخرة)، بصرخة أسير عائد من الأسر، لطالما حلم بالعودة إلى وطنه وعناق زوجته، لكن عند عودته من الأسر، يتفاجأ بأن بيته قد تحول إلى ما لم يكن يحلم به، حيث الحديقة تملؤها الأشواك، زوجته وحبيبته ترفضه وترفض وجوده، لا لكونها لا تحبه، أو لا تريد وجوده، بل لأنها لا تعرفه، ويتساءل مع نفسه (أهكذا غيرني الأسر)، ويحاول أن يثبت لها، حقيقة وجوده وكيانه، وهي تحاول بالمقابل، أن تثبت له العكس، وتستمر هذه المطاردة حتى نهاية المسرحية، دون أن تفتح الجنة أبوابها، أو حتى تغلقها.

تحليل النص المسرحي:

يقف الباحثان عند عتبة العنوان، ويلاحظان أن هناك بعدًا نوستالجيًّا يكمن خلف عنوان المسرحية، يتمثل في حنين العائد من الأسر إلى بيئته التي تعد بالنسبة اليه الحصن الآمن داخل مجتمعه المدني، ولكن بَعد معاناة الأسر، أَحسَ بأنه ليس حصنًا وحسب، بل أنه بمثابة الجنة التي كان يعيش فيها قبل أسره، وهذا الإحساس، إنما هو عودة بالماضي كطموح في الحاضر، وتمثلت النوستالجيا في هذا النص بأشكال متعددة، فكانت مهيمنة ومصاحبة لكل الشخصيات والأحداث المرافقة لها، فالأثبات الذي يريده الأسير ليثبت لزوجته أنه زوجها، ما كان ليكون إلا بالرجوع إلى الماضي، واستحضار أحداث وذكريات ومواقف، لتنشيط ذاكرة الزوجة، والقبول بفكرة أن هذا الأسير هو الزوج المفقود، فهو قد تحول كثيرًا عن الماضي، وتغير شكله عن السابق، فالشباب بات بعيدًا، لا يملك منه إلا الذكريات حتى مع امتلاكه الحاضر، فهو عاجز عن اثبات ذاته، فليس في الحاضر أي أثبات لهويته الزوجية منها، حتى جسده وملامحه الحالية، لا تنفع أمام رفض الزوجة له، فأنه يتمنى أن يكون الماضي حاضرًا بالنسبة أليه، وليس هناك سبيل آخر غير الماضي، يفتح له أبواب الجنة التي لطالما حلم بها، أيام الغربة والأسر، فهو متمسك بذلك الماضي تمسكًا نوستالجيًّا، ليس إستذكارًا فقط، بل معه حنين وشوق ورغبة في الرجوع أليه.

وما يجعل النوستالجيا تتضح في النص بصورة جلية وواضحة، هو أن المؤلف قد بدأ نصه من الذروة، ومن أزمة الشخصيات والأحداث، فيبدأ الصراع منذ الحوار الأول الذي يطلقه الأسير، فلا حاجة إلى تأزم الأحداث وتنامي الصراع، كما في الحوار الآتي:

"الأسير: أنتم تخونونني.. أنت لست زوجتي /يدخل من الباب/ ما أضاعني الأسر .. بل أضاعني أنك اتلفت ذكرياتي /يرمي حقيبته بيده/ أهكذا أعود .. أهكذا تكون مملكتي بيتي تسكن حديقته الاشواك (والكرفس والسلك والرشاد والفجل والبصل) أين الورود التي رشفت دمي لكي تصبح حمراء .. وأنت لم تعودي زوجتي .. أهكذا أستقبل بعد كل هذه السنوات من الأسر، هكذا نلتقي؟! كنت أحلم بألف صورة وصورة للقائنا ..." [٣٣].

في النص تظهر نوستالجيا شخصية انتقائية، بتقدم الماضي على الماضي، وسط ماضي مأساوي، يستذكر ماضي جميل، على أمل ترك ماضي مأساوي، ليحلم بحاضر جميل، ولكن بالوصول إلى حاضر مأساوي، يصبح الحنين إلى ماضي

مأساوي أرحم من حاضر الآن، وسط هذه الجدلية يبقى الصراع بين انتقاء ماضي من الماضي، أو قبول الحاضر المتناقض مع الماضي.

ومن المفارقات في المسرحية، أنها تظهر نوستالجيا شخصية، ففي محاولة من (الأسير) لأقناع زوجته بأنه زوجها الغائب، يذكرها بموقف شخصي حصل بهما في حياتهم السابقة، حول تمثال اشترياه لأنهما ضحكا على سذاجة صنعه، فبات هذا التمثال عنوانًا لموقف جميل في الماضي، رغم أنه قبيح وبشع، إلا أنه يحمل معه ذكرى جميلة.

ثم يشعر بالحنين لشبابه المهدور في الأسر، فهو يحن لنضارة الوجه والعنفوان والحيوية، ويتمنى أن يعود به الزمن لبرهة واحدة، يريها ما كان عليه سلفًا، قبل أن يُفنى شبابه خلف القضبان والأسلاك الشائكة، لأن زوجته تنكر أن يكون هذا الوجه هو وجه زوجها، أو هذا الجسد النحيل، هو جسد زوجها، فنجده يقول:

"الأسير: شكلي دمرته الحرب.

"الأسير: وما ذنبي إن كانت الحرب تهدي الأطفال شوارب بيضاء"(٣٤).

اختلفت طبيعة الشعور النوستالجي بين ثنايا المسرحية، أحيانًا يكون الشعور مُحبِطًا، وأحيانًا أخرى يكون إيجابيًّا، وسببًا في البقاء، والتشبث بالحياة، رغم قساوة الظروف والمعاناة التي يفرضها الأسر، فكلما شعر باليأس، كانت النوستالجيا منفذًا له، من الهلاك والاستسلام، كونها تعمل على استرجاع صورة الماضي الجميل مع حبيبته، وتمنحه القدرة على الحُلم بمستقبل أجمل، ومثل هذا الشعور النوستالجي يتجلى في الحوار الآتي:

"المرأة: طالت أظافري لتحفر قبري .. فلما فعلت تذكرتك فوجدت أصابعي تومئ بالنصر"(٣٥).

وهكذا تُغلق أبواب الجنة بوجه الأسير الذي ظن أنه عائد من جهنم إلى ما كان يحلم به طيلة غيابه المفروض بالإكراه، وكل ذلك بسبب الحرب التي اختلفت اليوم عن الأمس، بفعل التكنولوجيا والآلة الحربية العملاقة التي تسعى لإفناء الإنسان وقتله، وهو وسط كل هذا أعلن موت أحلامه، والأحلام التي تتعلق دائمًا بالواقع والمستقبل، فأحيانًا يكون الحلم هدفًا للإنسان يسعى لتحقيقه، وإذا كان بلا أحلام، فهذا يعني أنه لا يملك هدفًا يعيش من أجله، هكذا هي أفعال الحرب، فهو لا يملك سوى ماضيه الذي يدافع عنه ويريد البقاء فيه، لأن جنته قد تحولت إلى جحيم، بفعل ما جرى وما يجري فيها، وقد أغلقت كل أبواب النجاة، حتى تحول واقعه الآني إلى واقع لا يقل تعاسةً عن واقعه الذي قضاه في الأسر بعد مواجهة خشنة من قبل الزوجة، كما في الحوار الآتي:

"الأسير: أنا وهم أيضًا مثل الحارس والأستاذ .. لقد أنهار ساتري.

المرأة: أنا التي أنهار ساتري .. منذ خفت أن أشبع فلا أجد عندي متسع، لقد انهار ساتري، أيها الحبيب المهزوم.

الأسير: أسكتي.

المرأة: ترملت معدتي عما أحب.

الأسير: أسكتي ..

المرأة: أُسقط ساتري فكم الف عاهرة ستخرج من جلدي لو ..

الأسير: أسكتي .. أسكتي .. أيتها الحقيرة"(٣٦).

وأخيرًا تعد مسرحية (الجنة تفتح أبوابها متأخرة) من النصوص المسرحية التي حظيَ بها المسرح العراقي، والتي كانت صورة ناصعة لتمثلات نوستالجيا متعددة، بحسب تعدد الأحداث، موزعة على ستة لوحات، حاول فيها الأسير أن يرجع زوجته إلى الماضي، ولكنها تتشبث بالحاضر وتستبعد ذاكرتها، ولذلك قال لها (ذاكرتك متعبة)، ولم ييأس من تنشيطها، فهو يرغب بالعودة إلى الماضي، ويطالبها بالرحيل معه، إلى الماضي الذي يحن أليه، ذلك الماضي الذي يربطهما معًا، إلا أن هذه المحاولات تتحطم أمام إصرارها على الحاضر.

الفصل الرابع

النتائج:

١. يستدعي المؤلف نوستالجيا جمعية، هي نوستالجيا الشوق واللقاء، والتي تقاسمها الشعور الجمعي بأشكال مختلفة، كالشوق للقاء، وكل أنواع الاغتراب التي شملت أغلب شرائح المجتمع، كما في مسرحيتي (مطر صيف)، و(الجنة تفتح أبوابها متأخرة).

٢. رافقت النوستالجيا الشخصية الغائبة عن وطنها وحنين العودة، رغم استمرار الاغتراب داخل الوطن، كما في مسرحيتي (مطر صيف)، و(الجنة تفتح أبوابها متأخرة).

٣. تصوير الشعور النوستاليجي بأشكال متعددة، من خلال استخدام الامكانيات اللغوية، كما في مسرحية (مطر صيف).

٤. يتطور الشعور النوستاليجي مع تنامي الرغبة في الخلاص من كل تلك المعاناة، التي تضرب المجتمع من كل صوب، فالجميع يحلم بالخلاص والسلام، كما في مسرحية (الجنة تفتح أبوابها متأخرة)

٥. يمكن تحديد أبرز انواع النوستالجيا التي عالجتها عينة البحث، وكالآتي: نسوتاليجا الروحية والثقافية، كما في مسرحية (مطر صيف)، ونوستالجيا الهوية، كما في مسرحية (الجنة تفتح أبوابها متأخرة).

الاستنتاجات:

١. تنوعت النوستالجيا من مجتمع إلى آخر، وارتبطت على الدوام بثقافة المجتمع وحاضره.

٢. إن النوستالجيا تظهر في سلوك الإنسان الفاقد لقيمته، ومكانته الاجتماعية، في مجتمعه الذي يعيش فيه.

٣. ارتبط ظهور النوستالجيا بعمر الإنسان الناتج عن خوفه من الموت، فضلًا عن ارتباطها بالجوانب القيمية للفرد والمجتمع.

٤. ركزت النصوص المسرحية على حالات الاغتراب التي يتعرض لها الأشخاص بالمجتمع، في أزمات مختلفة، وأسباب متنوعة، فضلًا عن انعكاس آثار الكولينيالية في خطابات النصوص المسرحية.

٥. وظفت مختلف أنواع النوستالجيا في النصوص المسرحية عالميًّا وعربيًّا، لتحقيق أهداف جمالية على مستوى الكتابة المسرحية، ولإظهار نوع من المعاناة البشرية التي يتعرض أليها شريحة واسعة من البشر في مجتمعات مختلفة.

التوصيات:

يوصي الباحثان بالتأكيد على أهمية كتابة عدد من النصوص العراقية، التي تتضمن في بنائها الدرامي أفكارًا تعالج مفهوم النوستالجيا، وتقترب وتتشابك مع الواقع المعيش.

المقترحات:

يقترح الباحثان:

١. دراسة النوستالجيا وتمثلاتها في العرض المسرحي العراقي.

٢. دراسة النوستالجيا وتمثلاتها في النص المسرحي الشعري.

٣. دراسة مدى الاستجابة النوستالجية التي يتلقاها الفرد نتيجة قراءة نصوص ما بعد الكولونيالية.

هوامش البحث

() ينظر: عزت ملا ابراهيمي وصديقة جعفري نزاد: مظاهر النوستالجيا في شعر إمرىء القيس، في مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، (الحلة: جامعة بابل، العدد ٣٨، نيسان ٢٠١٨م)، ص٢٦٣.

(٢) See: J. Pearsall Ed: The New Oxford Dictionary of English, (UK: Oxford University Press, 1998), P.1266.

(٣) See: Willis McCann: Nostalgia: A Descriptive and Comparative Study، (Ph.D) (Indiana: Indiana University, Dept. of Psychology, 1940), P.5.

(٤) لويس معلوف: المنجد في اللغة والأعلام، ط٢٤، (بيروت: دار المشرق، ١٩٨٦م)، ص٧٤٦.

(٥) ابن منظور: لسان العرب، ج٣، (بيروت: دار لسان العرب، ١٩٨٨م)، ص٤٣٧.

(٦) جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج١، (قم: ذوي القربي، دت)، ص٢٤٢_٣٤٣.

(٧) إبراهيم مدكور: المعجم الفلسفي، (القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية، ١٩٨٢م)، ص٥٤_٥٥.

(٨) جبور عبد النور: المعجم الأدبي، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٧٩م)، ص٧٧_٧٨.

(٩)See: Marco Cavallaro: Recollecting Nostalgia. Husserl and Borges on the Phenomenology of Moods, 11th Annual Conference of the NORDIC SOCIETY FOR PHENOMENOLOGY, (Copenhagen: University of Copenhagen, April 18-20, 2013), P.2.

(١٠)See: L. Janelle Wilson: Nostalgia Sanctuary of Meaning, (Minnesota: University of Minnesota Publishing Minneapolis, USA, 2014), P.9.

(11)See: C. A. Thurber: The phenomenology of homesickness in boys, (Journal of Abnormal Child Psychology, 27,1999), p.125-139.

(12)See: C.A.Thurber, M.D. Sigman, J.R. Weisz, & C.K. Schmidt: Homesickness in preadolescent and adolescent girls: Risk factors and sequelae, Ibid, p.185-196.، behavioral correlates،

(١٣)See: Jeff Greenberg، Sander L. Koole, and Tom Pyszczynski: Handbook of Experimental psychology, (New York: Guilford publications, 2004), P.204.

(14)See: Justina Gineikienė: Consumer Nostalgia Literature Review and an Alternative Measurement Perspective, (Organizations and Markets in Emerging Economies, ISSN 2029-4581, VOL. 4, No. 2(8), 2013), P.116.

(١٥)See: J.J.Sierra and McQuitty: Attitudes and emotions as determinants of nostalgia purchases: An application of Social Identity Theory, (Journal of Marketing Theory and Practice, Vol. 15(2), 2007), P.100.

(١٦)See: Nikita Telford: Does nostalgic advertising have a positive effect on Irish Consumers between the ages of 20-39 and over 40's?, M.Sc. in Management, (Dublin: National College of Irelan, 2013), P.7.

(١٧)See: D.D. Muehling and Pascal: An empirical investigation of the differential effects of personal، historical، and non- advertising on consumer responses, (Journal of Advertising, Vol. 40(2), 2011), P.108.

(١٨) See: Justina Gineikienė: Consumer Nostalgia Literature Review and an Alternative Measurement Perspective, Ibid, P.116.

(١٩) See: Ibid, P.116.

(٢٠) ينظر: محمد حمدي ابراهيم: نظرية الدراما الاغريقية، (القاهرة: الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، ١٩٩٤م)، ص١٤٨.

(٢١) سوفوقليس: أنتيجونا، ضمن كتاب (تراجيديات سوفوقليس)، تر: عبد الرحمن بدوي، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٦م)، ص١٦٣.

(٢٢) انطوان تشيخوف: شيطان الغابة – الخال فانيا ، تر: محمد حسن التيتي، (الكويت: وزارة الاعلام ، سلسلة من المسرح العالمي رقم ٤٠، دت)، ص٢٠٨.

(٢٣) إدوار غليسان: نشيد كاتب ياسين العميق، ضمن كتاب (الجثة المطوقة والاجداد يزدادون ضراوة) تأليف كاتب ياسين، تر: ملكة أبيض العيسى، ط٢، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٩م)، ص٢٠.

(٢٤) كاتب ياسين: الجثة المطوقة والاجداد يزدادون ضراوة، المصدر السابق، ص٣٢.

(٢٥) شاكر خصباك: الشيء، ضمن كتاب (مختارات من مسرح شاكر خصباك)، ط٢، (بيروت: دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٩م)، ص١٦٣.

(٢٦) لينين الرملي: وداعًا يا بكوات، ضمن كتاب (أهلًا يا بكوات، وداعًا يا بكوات)، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، ١٩٩٨م)، ص٢٠٤.

(٢٧) علي عبد النبي الزيدي: ولد في الناصرية سنة ١٩٦٥م، حصل على دبلوم تربية معهد المعلمين، بدأ في كتابة القصص القصيرة والروايات والعديد من الدراسات المسرحية ونشرها في الصحف العراقية منذ منتصف التسعينات، وبدأ كمؤلف مسرحي منذ عام ١٩٨٤م، إذ يعد من جيل التسعينيات، عضو اتحاد الادباء والكتاب العراقيين، حصل على العديد من الجوائز والشهادات التقديرية عن نصوص المشاركة في

المهرجانات العربية والمحلية، وعرف بكتابته عن الوجع العراقي. للمزيد ينظر: علي محمد هادي الربيعي وعامر صباح المرزوك: المسرح العراقي: محطات ساطعة وجرودات جامعة، (الحلة: دار الرياحين للنشر والتوزيع، ٢٠١٨م)، ص٧٨.

(٢٨) علي عبد النبي الزيدي: مطر صيف، ضمن كتاب (عرض بالعربي)، (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، سلسلة الإبداع المسرحي رقم٢، ٢٠١١م)، ص١٩٧.

(٢٩) المصدر السابق نفسه، والصفحة نفسها.

(٣٠) المصدر نفسه، ص١٩٧_١٩٨.

(٣١) المصدر نفسه، ص٢٠٣.

(٣٢) فلاح شاكر: ولد في البصرة سنة ١٩٦٠م، درس الفلسفة وتخرج من جامعة بغداد سنة ١٩٨٧م، حصل على العديد من الجوائز المهمة عن نصوصه المسرحية التي شاركت في العديد من المهرجانات، نذكر منها: مهرجان المسرح العراقي التجريبي، والمركز العراقي للمسرح، ومهرجان قرطاج الدولي، والمهرجان العالمي الجامعي في تونس، ويعد من بين أهم الكتاب المسرحيين العراقيين بعد ثمانينيات القرن المنصرم. للمزيد ينظر: علي محمد هادي الربيعي وعامر صباح المرزوك: المسرح العراقي محطات ساطعة وجرودات جامعة، المصدر السابق، ص٧٠_٧١.

(٣٣) فلاح شاكر: الجنة تفتح أبوابها متأخرة، في مجلة كواليس، (الشارقة: جمعية المسرحيين، العدد ٣٩، فبراير ٢٠١٥م)، ص١١٤.

(٣٤) المصدر السابق نفسه، ص١١٥).

(٣٥) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٣٦) المصدر نفسه، ص١٢١.

المصادر والمراجع

- **الكتب:**

أولاً/ المؤلفة:

١. إبراهيم، محمد حمدي: نظرية الدراما الاغريقية، (القاهرة: الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، ١٩٩٤م).
٢. خصباك، شاكر: مختارات من مسرح شاكر خصباك، ط٢، (بيروت: دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٩م).
٣. الربيعي، علي محمد هادي، وعامر صباح المرزوك: المسرح العراقي: محطات ساطعة وجرودات جامعة، (الحلة: دار الرياحين للنشر والتوزيع، ٢٠١٨م).
٤. الرملي، لينين: أهلًا يا بكوات، وداعًا يا بكوات، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، ١٩٩٨م).
٥. الزيدي، علي عبد النبي: عرض بالعربي، (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، سلسلة الإبداع المسرحي رقم٢، ٢٠١١م).

ثانيًا/ المترجمة:

٦. تشيخوف، انطوان: شيطان الغابة – الخال فانيا ، تر: محمد حسن التيتي، (الكويت: وزارة الاعلام ، سلسلة من المسرح العالمي رقم ٤٠، دت).
٧. سوفوقليس: تراجيديات سوفوقليس، تر: عبد الرحمن بدوي، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٦م).
٨. ياسين، كاتب: الجثة المطوقة والاجداد يزدادون ضراوة، تر: ملكة أبيض العيسى، ط٢، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٩م).

- **المعاجم والقواميس والموسوعات:**

٩. أبن منظور: لسان العرب، ج٣، (بيروت: دار لسان العرب، ١٩٨٨م).

١٠.بدوي، أحمد زكي: معجم مصطلحات الدراسات الإنسانية والفنون الجميلة والتشكيلية، (القاهرة: دار الكتاب المصري، ١٩٩١).

١١.صليبا، جميل: المعجم الفلسفي، ج١، (قم: ذوي القربي، دت).

١٢.عبد النور، جبور: المعجم الأدبي، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٧٩م).

١٣.مدكور، إبراهيم: المعجم الفلسفي، (القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية، ١٩٨٢م).

- **المجلات والدوريات:**

١٤.إبراهيمي، عزت ملا، وصديقة جعفري نزاد: مظاهر النوستالجيا في شعر إمرىء القيس، في مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، (الحلة: جامعة بابل، العدد ٣٨، نيسان ٢٠١٨م).

١٥.شاكر، فلاح: الجنة تفتح أبوابها متأخرة، في مجلة كواليس، (الشارقة: جمعية المسرحيين، العدد ٣٩، فبراير ٢٠١٥م).

- **المصادر الأجنبية:**

١٦.Cann, Willis Mc: Nostalgia: A Descriptive and Comparative Study، (Ph.D) (Indiana: Indiana University, Dept. of Psychology, 1940).

١٧.Cavallaro, Marco: Recollecting Nostalgia. Husserl and Borges on the Phenomenology of Moods, 11th Annual Conference of the NORDIC SOCIETY FOR PHENOMENOLOGY, (Copenhagen: University of Copenhagen, April 18-20, 2013).

١٨.Ed, J. Pearsall: The New Oxford Dictionary of English, (UK: Oxford University Press, 1998).

١٩.Gineikienė, Justina: Consumer Nostalgia Literature Review and an Alternative Measurement Perspective, (Organizations and Markets in Emerging Economies, ISSN 2029-4581, VOL. 4, No. 2(8), 2013).

٢٠.Greenberg, Jeff, Sander L. Koole, and Tom Pyszczynski: Handbook of Experimental psychology, (New York: Guilford publications, 2004).

٢١.Muehling, D.D. and Pascal: An empirical investigation of the differential effects of personal، historical، and non- advertising on consumer responses, (Journal of Advertising, Vol. 40(2), 2011).

٢٢.Sierra, J.J., and McQuitty: Attitudes and emotions as determinants of nostalgia purchases: An application of Social Identity Theory, (Journal of Marketing Theory and Practice, Vol. 15(2), 2007).

٢٣.Telford, Nikita: Does nostalgic advertising have a positive effect on Irish Consumers between the ages of 20-39 and over 40's?, M.Sc. in Management, (Dublin: National College of Irelan, 2013).

٢٤.Thurber, C. A: The phenomenology of homesickness in boys, (Journal of Abnormal Child Psychology, 27,1999).

٢٥.Wilson, L. Janelle: Nostalgia Sanctuary of Meaning, (Minnesota: University of Minnesota Publishing Minneapolis, USA, 2014).